الوحدة في الحضارة العربيّة

د.عفيف بهينسي

اســـــم الكتـــــاب: الوحدة في الحضارة العربيّة

اســـم المـــؤلـــــف: د.عفيف بهنسي

التـرقيم الـــــدولي:ISBN:9789776689336

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة المشهرة برقم ٢٤٨٢١ بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: جمهورية مصر العربية/ محافظة الجيزة/ مدينة السادس من أكتوبر/ ٣٣ التمويل العقاري.

هاتف: ٠٠٢٠٢٣٨٨٥٠٦٤٩/ موبايل ٠٠٢٠١٥٥٣٢٤٧٤٨٦

البريد الإلكتروني: tahreradbe@gmail.com

الوحدة في الحضارة العربيّة

د. عفيف بهنسي

عندما نتحدث عن الحضارة فإن المعنى يشمل آثار الإنسان في مجموعة بشرية معينة نطلق عليها اسم الأمة. فالحضارة عطاء قومي له شخصية وطابع الأمة التي ينتسب إليها، سواء أكان هذا العطاء معمارياً أو تشكيلياً أو فكرياً أو عقائدياً.

إن حصيلة هذا العطاء عبر العصور أو عبر الحضارات المتعاقبة يشكل ما يسمى بالتراث وعلى اختلاف الظروف التاريخية واختلاف التأثيرات الطارئة التي تسببها التحولات السياسية فإن هذا التراث يرتبط برباط قوي بمعنى الأمة. بل إن خصائص الأمة وشخصيتها أصبحت تعرف من خلال مفردات هذا التراث الذي يتجلى على سطح أو باطن رقعة معينة من أرض كانت في فترة معينة مهد لأمة من الأمم.

ولسنا من القائلين بالتفوق العنصري لأية أمة من الأمم، ولكن لابد من القول بأن لكل أمة خصائص متميزة تتجلى في تاريخها وحضارتها. وتتركب شخصية كل أمة ليس من التكوين العرقي لأفرادها، بل من مجمل عطاءات هذه الأمة وعقائدها، فالدين والفن والعلوم والسياسة والتركيب الاجتماعي هي صورة الأمة المشخصة. ومن هنا كان التلازم قوياً بين الأمة والحضارة، فالأمة قوية وعظيمة ليس بنقاوة سلالاتها ولكن باتساع وعمق حضارتها وثبات هذه الحضارة.

فلقد كانت الحضارة المصرية عظيمة لأن الطبيعة والإنسان اندمجا في صورة خالدة تجسدت في أوابد راسخة تتحدى الفناء... وكانت الحضارة الرافدية والسورية خالدة لأنها مستمدة من قوة الإنسان المؤمن بالمستقبل المتمثل بالآلهة السماوية. أما الحضارة الإغريقية والرومانية فلقد كانت عظيمة بمقدار ما كان

السبب عظيماً، فهي نتيجة دائمة للسؤال الفلسفي والبحث المنطقي أو نتيجة للرخاء المادي، ولقد زالت بزوال الأسباب العارضة، وإذا استمر شكلها فلأن ورثة الفكر الإغريقي كانوا يبحثون عن ملجأ لأفكارهم المكرورة والموروثة عن سابقهم.

وهكذا فإن الحضارة العربية قد خضعت لفكرة المصير وليس لمبدأ العلية. وليست فكرة المصير بعيدة عن مفهوم الحضارة في العصر الحديث، بل هي تأخذ شكلاً أكثر وضوحاً، ذلك أن المصير بتفسيره الحديث هو وحدة الفرد مع الكون. أي أن المصير ليس الكون كما هو، بل هو كما يمكن أن يكون بفعل الإنسان، لذلك فإن المصير هو عمل إبداعي مستمر، وبهذا المعنى يمكن أن نفسر الحضارات والحضارة العربية بصورة خاصة والتي قامت على موقف الإنسان من الكون وما وراء الكون وعلى التعامل مع هذا الكون عن طريق الحدس والروح وليس عن طريق المنطق الرياضي والقوانين العلية، إنه يتعامل مع الكون على أساس أن الفرد هو جوهر الكون لأن الفرد هو الزمان، وكل ما عداه هو المكان أو ما يقرب من المكان، حتى الحيوان فإنه يخرج عن معنى الزمان لأنه لا يدرك دوره في الحياة. ومع ذلك فإن الإنسان يخشى ويهاب الزمان الحقيقي، والزمان بذاته، لأنه العلامة الوحيدة لتجاوز المقدرة البشرية. ولذلك فإن الإنسان يسعى وراء المثل الأعلى المتجسد بمفهوم الرب لكي يتخطى تحدي الزمان. ونستطيع القول إن الحضارة العربية منذ نشوئها في بلاد الرافدين وحتى اليوم، إنما ترتبط بمثل أعلى، أو بمعنى آخر، هي من صنع الإنسان الذي يسعى وراء المثل الأعلى الذي يتصوره من خلاله الإله في السماء، والذي يسمو على كل قوة واردة. وهو فرق الزمان أو المكان وعلى ذلك فإن المصير ذاته مرتبط بالله أي بالمثل الأعلى، والإنسان في الحضارة العربية ما هو إلا القوة التي تنفذ إرادة الله، ولأن الله قوة سرمدية خالدة غير قابلة للفناء والضعف، فإننا نرى الحضارة العربية تتسم بصفة

الاستمرار والمقدرة الخارقة على البقاء، على الرغم من جميع ظروف التخلف والجمود، ويكفي أن تكون هذه الحضارة، أقدم حضارة وجدت على الأرض، وأطول الحضارات عمراً، وأقدرها على التغلب على عوامل الانحطاط والاندثار.

ومن حسن حظ الأمة العربية أنها تحتفظ بتراث حضاري كشفت عنه الآثار المعروفة أقل ما يقال فيه أنه يمتاز عن غيره بالأمور التالية:

أولاً-الأصالة:

تمتاز الحضارة العربية بارتباطها بأمة أصيلة مازالت قائمة حتى اليوم ومنذ بداية التاريخ، محتفظة بخصائصها وتقاليدها وعقائدها ولغتها وبملامحها العرقية.

فلقد سكن بلاد الرافدين وسورية شعوب عربية أطلق عليها اسم الأكاديين والبابليين والعموريين والآشوريين، ثم الآراميين والمناذرة والغساسنة والعرب المسلمين. وجميعهم من أرومة واحدة لا مجال للطعن فيها، وهم يتكلمون لغات إذا لم تكن واحدة، فهي أشبه باللهجات، فيها من الكلمات الموحدة أكثر ما بينها من الكلمات المختلفة.

وهذه اللغات أو اللهجات، إذا كتبت بالخط المسماري أولاً، فإننا نرى تطورها عبر الكتابة الأوغاريتية إلى الكتابة الآرامية، والنبطية المصدر الأساسي لكتابتنا العربية القائمة حتى الآن، وقد بلغت من العمر حوالي ألفي عام على الأقل. وإذا دققنا في أسلوب العمارة والفن، فإننا نرى أن تقاليد الفن الرافدي استمرت قائمة حتى يومنا هذا مؤثرة أيضاً في الفنون الساسانية والبيزنطية ذاتها، التي كثيراً ما

تردد تأثيرها على الفن الإسلامي، دون أن يخطر في ذهننا الحديث عن مصادرها العربية الرافدية القديمة.

أما العقيدة فلا بد من القول إن العبادة السماوية كانت قائمة منذ عهد الأكاديين في الألف الثالث، وأن إبراهيم الخليل الذي ولد في أوركان قد نقلها إلى البلاد المقدسة وأصبحت أساساً للعبادة التوحيدية في الديانات كلها.

ثانياً–القدم:

لقد كانت آثار الرافدين ومصر فاتحة التاريخ، وأن الحضارة التي وصلت إليها هذه المنطقة العربية كانت من الضخامة والتقدم حتى أننا نعجز اليوم عن مضاهاتها في غناها وتنوعها والتفنن فيها.

ولقد كان على الغرب أن ينتظر آلاف السنين حتى يقيم ما يسمى بالحضارة الإغريقية الرومانية التي تجمدت في قوالب نظرية وهندسية لم تستطع الخروج عنها والتطور إلى أبعد منها حتى القرن الماضي.

ويكفي القول إن الحفريات الأخيرة التي أجريت على ضفاف الفرات في سورية قد أثبتت أن التجمع السكاني البشري وجد منذ الألف التاسع قبل الميلاد. فلقد عثر على مستوطن مبني من اللبن المدعم بالخشب في موقع المريبط، وتبين أن جدران هذه المساكن كانت مطلية بالفريسك الملون، وعثر في الأنقاض على تماثيل صغيرة تمثل آلهة الخصب، وعلى أواني من الطين المشوي. وهذا يعني أن العبادات كانت موجودة منذ أحد عشر ألف عام، وأن صناعة الطين المشوي كانت

قائمة قبل التاريخ، وأن ثمة فنوناً على غاية من الروعة الإبداعية قائمة، كل هذا يدل على أن هذه الأرض تبقى أكثر مناطق العالم عراقة وقدماً.

ثالثاً-وحدة التاريخ:

إن هذه الحضارة الأصيلة العريقة، تمتاز بوحدة عبر الزمان مهما اختلفت العصور ومهما تباعدت المناطق، ويكفي القول أن المنشآت التي تنتشر اليوم في شمالي سورية وهي قباب عالية من اللبن، هي نفسها بشكلها ومادة إنشائها، القباب التي كانت تقام قبل خمسة آلاف عام، كما أن مفهوم البيت بانفتاحه الداخلي، ومفهوم الزيقورة التي تطور إلى مئذنة وأساليب التغطية التي تطورت فيما بعد بشكل عقد أو قوس أو قبة، أو مفهوم التمثال الرمزي الذي وجدناه عند الأكاديين والآموريين والكنعانين، كل هذا يعطينا الدليل على الوحدة التراثية الواضحة بين الآثار على اختلاف أساليبها التي تنتسب إلى عصور النطوف أو عبيداً أو تل حلف أو الورقاء أو إلى عصور البرونز اللاحقة.

رابعاً-التشكل الكاذب:

إن هذه الحضارة تحتوي شواهد وآثار كانت قد وفدت مع السلطة المحتلة أو الحاكمة، وقد أدى هذا الاحتواء إلى تطعيم الفنون والعمارات المستوردة بالشخصية القومية، نرى ذلك واضحاً في الحضر (العراق) وتدمر (سورية) وفيلكا (الكويت) وفي معابد دندرة وفيلة (مصر) حيث ظهر التأثير الهلنستي والروماني بقوة السلطة مكوناً تشكلاً كاذباً، ولكنه لم يلبث أن أخذ طابع الشخصية المحلية التي تميزت عن مفهومه الكلاسيكي المعروف.

خامساً–وحدة الإسلام:

لقد أعطت هذه الحضارة العريقة خصائصها إلى الحضارة العربية الإسلامية التي استطاعت في فترة وجيزة جداً أن تصل إلى أعلى عهود الازدهار وإلى أن تكون شخصية جديدة تأخذ مبادئها من خصائص الأمة العربية، ومن معاني الدين الإسلامي ثم تشع على أكبر رقعة تمتد من الغانج إلى الأطلسي، تدين بدين واحد وتنتسب إلى مفاهيم فنية واحدة، وتتغذى من مصدر قومي عربي، فلقد وصل الفن الإسلامي إلى أسمى آياته في بلاد فارس وبلاد الأندلس، حاملاً معه هوية الأمة التي رفعت لواء الإسلام ونشرته بلغتها وخطوطها التي ترسخت في كل مكان.

سادساً–وحدة الأرض:

إن هذا التراث الحضاري الذي تكشف عنه الآثار قد نشأ على أرض محددة تمتد من الرافدين إلى النيل، وهو إذ تجلى بشخصيتين متميزتين، الشخصية الرافدية –والشخصية المصرية القديمة، فإنما يرجع ذلك لاختلاف الظروف الجغرافية والطبيعية فحيث توجد مقالع الغرانيت وتزدهر السهول بخير النيل العظيم، يعتمد سكان الرافدين على الطين لفقدان الحجر ويتعرضون إلى الطوفان الساحق كل عام. ولقد كان لهذه الظواهر أثرها على العقيدة، فالناس في العراق القديم يراقبون السماء ويستجلون الأنواء ويسبحون بحمد الكواكب التي تكشف لهم أسرار الغيب، أما الناس في مصر فيتأملون النيل الذي يغمرهم بخيرات ثابتة فيرون فيه حبات دموع إيزيس باكية على زوجها إزريس.

وتتأثر العبادات بهذا الواقع الطبيعي، كما تتأثر العمارات والفنون مما يكون شخصيتين متميزتين. على أن اللقاء لم ينقطع بين هذه وتلك، سواء عن طريق

الحروب أو عن طريق المصاهرة وتبادل الهدايا والتجارة، وتشهد على ذلك اللقى الكثيرة من جدران وأثاث وتماثيل مصرية عثر عليها في سورية كما تؤكد ذلك كتابات ورسوم عثر عليها في واجهات وجدران المعابد المصرية.

كما يشهد على ذلك التقارب في الأسلوب الفني الذي نراه واضحاً في كثير من الأعمال القديمة أو التأثر الواضح بالفن المصري الذي كانت سورية وسواحلها الغربية حيث استمد الأوغاريتيون والفينيقيون الكثير من مظاهر الفن المصري. وكانوا نقلته إلى غيرهم من الشعوب.

سابعاً–وحدة اللغة:

إذا كان الإسلام ذروة من ذروات الحضارة العربية، فإن هذه الحضارة كانت قائمة منذ أن كان الوجود العربي، بل منذ أن انطلق أسلافنا العرب من جزيرتهم العربية إلى بلاد الرافدين سعياً وراء الماء والكلأ فأنشأوا فيها الحضارات المتتابعة التي مازالت آثارها قائمة حتى الآن، فالحضارة العربية لم تبتدئ في القرن السابع بل هي موجودة منذ الألف الثالث ق.م واستمرت تحمل جميع خصائص الأمة العربية حتى يومنا هذا. وتتجلى شخصية هذه الحضارة الموحدة في عاملين: عامل وحدة اللغة وعامل وحدة العقيدة.

فلقد تبين بعد أن تمكن راولنسون من حل رموز حجر بهابفستون أن الكتابة المسمارية قد استخدمت للغات أخرى غير اللغة السومرية. وإذا كانت هذه اللغة مازالت مستقلة، فإن اللغات الأخرى التي كتبت بالمسمارية كالأكادية والآشورية والعمورية والأوغاريتية لم تكن في الواقع إلا لهجات للغة واحدة استمرت شائعة عند

الكنعانيين والآراميين والأحباش، وتعتبر اللغة العربية الحالية، أكمل هذه اللغات وهي اللغة المقياس لتحديد العلاقة بين هذه اللهجات التي تختلف فيما بينها ببعض المفردات وتتقارب في جذر الأفعال وصيغ الماضي والحاضر والضمائر والأعداد وأسماء أعضاء الجسم، ولقد استطاع الأوغاريتيون والفينيقيون ابتكار الأبجدية، وهي مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً مسمارياً، ثم انتقل الحرف من الشكل المسماري إلى الشكل اللين ولقد سرت اللغة الآرامية في بلاد آشور وطغت على اللغة التي كانت شائعة وهذا ما دعا إلى تسمية اللغة الآرامية باللغة السريانية نسبة إلى آشور. ثم أصبحت الآرامية لغة الهلال الخصيب كله والممتد من رأسين البصرة شرقاً وطيبة في مصر غرباً. واستمرت هذه اللغة إلى عهد المسيح وما زالت قائمة حتى الآن في بعض المدن والقرى العراقية والسورية والمصرية ولكن بلهجات مختلفة. واللغة الآرامية هي تطور للغة الأكادية والعمورية وقريبة من اللغات الكنعانية وهي مرحلة إلى اللغة العربية الحالية، بل إن كتابتها هي أصل الكتابة العربية المعروفة.

وعندما ظهر الإسلام وتحقق التوسع العربي الكبير انتشرت اللغة العربية في كل مكان كان العرب فيه هم السادة، بل لقد استمرت مع استمرار الإسلام والعروبة في فارس والهند وأذربيجان وتركيا وفي بلاد الأندلس. فكان انتشار اللغة العربية رمزاً لانتشار الثقافة العربية.

ولقد تغلب العرب على الفرس في حملات ضمت أربعين ألفا من الرجال والنساء والأحداث واحتلوا دولة الفرس وسلطانهم وقصورهم وحلت العروبة محل الفارسية وأصبحت اللغة العربية هي السارية وأصبحت لسان الأدباء والعلماء ولغة الثقافة، بل هي لغة أكثر العوام. وعلى الرغم من ظهور النزعة الفارسية في عهد

العباسيين وظهور قوى فارسية معادية كالقرامطة، فإن الاعلام من الفرس كانوا يفخرون بانتسابهم إلى العربية وما كانوا يكتبون ويؤلفون إلا بلغة القرآن، وأصبحت العروبة كما يقول ايتنهاوسن مرادفاً للحضارة التي نشأت في الامبراطورية الإسلامية الواسعة في القرون الوسطى وكانت في البداية قوة عسكرية وسياسية في الجزيرة العربية والتي ارتبطت إلى حد كبير برباط اللغة العربية، (لغة الدين، والإدارة، والعلم، والشعر)، وهذه الحضارة لم تتكون استناداً لعصبية قومية، وإنما بوجود وعي واضح بين المسلمين في العصور الوسطى على اختلاف قومياتهم، وهو وعي مؤكد بانتمائهم إلى حضارة عربية قدسية المنبع، وربما هذا الأمر هو الذي عبر عنه العالم الكبير البيروني (المتوفى ١٠٤٨م) والذي جاء من منطقة متاخمة هي خوارزم (التي تقع اليوم في جمهورية قرقول باك السوفياتية المتمتعة بالاستقلال الذاتي) والذي قال: إن ديانتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان، الأولى تحميها قوة الله، والثانية تحرسها يد السماء فلطالما حاولت طوائف من الرعايا أن تتألف سوية لإضفاء الصفة غير العربية على الدولة لكنها لم تنجح في هدفها ذاك.

لقد كانت اللغة العربية بالنسبة له لغة الدين والعلم، وهي أعظم وسيلة للتماسك، وقد أعرب عن غيرته على هذا العنصر الحيوي في حضارته بقوله "من الأفضل له أن يشتم بالعربية من أن يمتدح بالفارسية" ولقد استمرت الكتابة العربية سارية في إسبانيا بعد نزوح العرب عنها وكان المسلمون المغاربة (الموريسك) يتداولون هذه الكتابة في نطاق الأدب والتعاليم الدينية وقد أطلق عليها اسم الأدب الأعجمي أو الجبيادو Literatura aljamiab، ولقد عثر على مخطوطات كثيرة جداً في أرغن وهي محفوظة حالياً في مكتبة في مدريد، وتضم هذه المخطوطات وثائق قانونية وأشعاراً في مدح الرسول وصلوات وأساطير وقصصاً كتبت كلها

بحروف عربية ولكن بلغة إسبانية، وترسخت المصطلحات العربية في اللغة الإسبانية ومازالت حتى اليوم، فلقد ألف دوزي وانغلمن معجماً للألفاظ الإسبانية والبرتغالية ذات الأصل العربي ويذكر سيديو Sédillot "أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن وولاية ليمون الفرنسيتين مليئة بالكلمات العربية، وإن أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربية".

ثامناً-وحدة العقيدة:

أما وحدة العقيدة فإنها تتجلى في العبادة التوحيدية التي وجدت جذورها الأولى منذ بداية وجود الرافدين.

منذ الألف العشرين قبل الميلاد تعرضت الجزيرة العربية لتغيرات مناخية حبست عن أجزاء خصبة منها المطر، ثم توالت الفترات الجافة على هذه المنطقة مما أدى إلى هجرات متواصلة نحو الشمال لعل أحدثها هجرات قبائل شمر وعنترة، وكانت قبلها قد نزحت قبائل أخرى عرفت بالمناذرة والغساسنة وقبلهم الأنباط، والتي شكلت حضارات مازالت آثارها واضحة في الحيرة (العراق) وبصرى (سورية) والبتراء (الأردن). على أن الهجرة الأكثر أهمية كانت في الألف الثالث ق.م حيث استطاع الأكاديون الذين نزحوا من أطراف الجزيرة العربية الشرقية إلى جنوبي وادي الرافدين، حيث وجدوا شعباً أطلق عليه اسم سومر، كان قد وصل إلى مستوى جيد من الحضارة منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، فلقد عرف الزراعة والرعي، وعرف صناعة المعدن والتجارة مع مصر ووادي السند، ولقد عرف السومريون الكتابة التي أطلق عليها اسم المسمارية وهي حفر على ألواح الطين بمسمار كما عرف السومريون التقويم والحساب والموازين وأقاموا المعابد

على شكل صوامع (زيقورة) ذات طبقات في أعلاها حرم لإله الهواء أنليل ولقد عثر على آثار هذه الزيقورة في نيبور.

وما زالت الأبحاث جارية للتأكد من هوية السومريين وتحديد منشأهم، وتفيد الأبحاث الأخيرة التي نتجت عن حفريات في المنطقة الشرقية في العربية السعودية عن احتمال هجرات في الألف السادس ق.م أي في جنوبي العراق ولقد استطاع الأكاديون فيما بعد السيطرة على بلاد سومر بقيادة صرغون الذي وصل بتوسعاته من الخليج العربي إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وقام حفيده نرام سين بمتابعة فتوحاته في الفرات الأعلى ولعل صرغون كان أقدم زعيم عربي أكادي استطاع أن يقيم حضارة واضحة أصبحنا نعرف عنها الكثير من خلال الرقم والأختام والحفريات الأثرية، وكان مركزها الأساسي مدينة أور. وفي مناطق مختلفة من بلاد الشام، كانت شعوب عربية تعيش منذ الألف الخامس ق.م أطلق عليها فيما بعد اسم العموريين (أي سكان الغرب) ولقد أثبتت الحفريات الأخيرة في تل الحريري (ماري) وفي تل مرديخ (ايبلا) وفي تل عطشانة (الالاخ) وفي عمريت وغيرها على حضارة متقدمة وبعيدة المدى ولعل المكتشفات المقبلة ستبين حقائق مدهشة، ففي عام ١٩٧٤ عثر الأثري مورتغارت في تل خويرة (شمالي سورية) على كتابة أبجدية ترجع إلى الألف الثالث فإذا تأكد ذلك فإن هذا سيقدم الدليل على عراقة الحضارة السورية القديمة مما يجعلها تسبق الحضارة السومرية. ثم ظهرت دولة بابل في منتصف القرن الحادي والعشرين والتي أنشأها العرب العموريون أنفسهم وكان حمورابي ١٩٤٨ق.م ثاني حاكم عربي عظيم بعد صرغون اشتهر بطول حكمه (٥٧) وبعهده العادل الذي قام على قوانين موضوعة مازالت مصدراً لجميع القوانين حتى اليوم.

ومنذ منتصف الألف الثاني ق.م أقام الآشوريون دولتهم شمالي الرافدين على أساس حربي دفاعي لصد عدوانات البابليين والحثيين والميتانيين، وكان الآشوريون من العرب الذين نزحوا من الجنوب واختلط بهم الآراميون العرب الذين كانوا قد انتشروا في أنحاء سورية وبخاصة في الفرات الأوسط وفي الساحل السوري. وكانت المدن العربية الكنعانية قد اشتهرت بملاحتها الواسعة التي قامت على صناعة السفن الضخمة، فانتقل التجار الفينيقيون إلى شواطئ بعيدة وسيطروا على طرق الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وكانت لهم مراكز في قبرص وصقلية وسردينيا وكورسيكا وفي مالطا وإسبانيا وعلى طول الساحل الشمالي الأفريقي وكانت مدينة قرطاج في تونس أهم مركز فينيقي أو بونيقي كما هو معروف في شمالي أفريقية. كما وصل الفينيقيون إلى شواطئ الخليج العربي ومازالت قائمة مدن تحمل اسمها الفينيقي القديم. ومن الفينيقيين أخذ الإغريق آلهتهم واستمدوا من فلاسفتهم وأدبائهم ومشرعيهم وعلمائهم ويذكر هيرودوت أن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا ليبيا عندما طافوا حول أفريقيا عام ٦٠٠ ق.م. ويتحدث المؤرخون عن رحلة حانون القرطاجي في غربي أفريقية.

ولقد اتجه الرافديون القدماء إلى السماء يراقبون الكواكب ويقدسونها ويستجلون أسرار الكون من خلالها وكانت الزيقورات صوامع يسلكها الناس صعوداً على طبقات كل طبقة تمثل كوكباً مقدساً يتدرج في الأهمية حتى يصل إلى القمة حيث يمثل الإله شمش أي الشمس وهناك يقف المتعبدون لتقديم الأضاحي إلى السماء آنو وهي أقدم إشارة للعبادة التوحيدية في الوجود. ولقد كان الكنعانيون في رأس الشمرة وفي المقاطعات الفينيقية والبونيقية (شمالي أفريقية) يعبدون الإله (ايل) وهو الإله العلي العظيم إله الغيث والمطر والخصب القادر على كل شيء وإرادته فوق كل إرادة وهو يحمي البشر من الشر والقحط.

ويمارس الأوغارتيون عبادة هذا الإله أيضاً كما أن الآراميين الذين عاشوا في داخل سورية وعلى ضفاف العاصي وفي الجبال كانوا قد جعلوا (ايل) في مرتبة سامية بين الآلهة.

ولقد اتخذ الهكسوس وهم من العمالقة العرب البائدة الإله (ايل) ولعلهم نقلوا ذلك إلى مصر حيث تبناه أخناتون على شكل إله الشمس آتون الواحد الرحيم ويؤكد ذلك أن ايل عند السوريين القدماء كان مقره الشمس في حالة الغروب وكان ايل أقرب إلى مفهوم إله. ولقد آمن الآشوريون بإلههم التقليدي آشور وهو باعتقادهم إله الشمس أيضاً ولقد رمزوا إليه بصورة الشمس المجنحة، وكانوا قد أخذوا ذلك عن الحثيين الذين أخذوه بدورهم عن مصر، كما أخذوا إله الحب عشتار عن البابليين.

المحتويات

أولاً–الأصالة: ٧

ثانياً–القدم: ٨

ثالثاً–وحدة التاريخ: ٩

رابعاً–التشكل الكاذب: ٩

خامساً–وحدة الإسلام: ١٠

سادساً–وحدة الأرض: ١٠

سابعاً–وحدة اللغة: ١١

ثامناً–وحدة العقيدة: ١٤